مجلة مشكلات الحضارة
المجلد: 10 العدد: 02 السنة: 2022 ص ص: 28- 39
ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

البعد الوظيفي والجمالي للشمسيات مسجد أبي الحسن التنسي بتلمسان.

The functional and aesthetic dimension of the shamsyatsin theMosque Abi Al-Hassan Al-Tensi Tlemcen.

هناء مغراوي*
جامعة الجزائر2- أبو القاسم سعد الله

تاريخ الاستلام: 24 / 08/ 2021 تاريخ القبول: 09 / 12/ 2022

Abstract:

The Shamsyat are one of the elements of entering light into the architecture of mosques and one of the elements of formation within the spaces in terms of ventilation, lighting, insolation, and air conditioning. The element of light is considered one of the constants affecting the philosophical thought of the Muslim Architect ; The indication of the use of shamsyat in mosque has a functional and aesthetic role through the design of the decorative formations and the openings that emit sunlight towards the inner space of the prayer house, which fulfills the functional role of ventilation and lighting. Luster and a spiritual sense on the psyche of the Muslim with the harmony of sunlight and geometric shapes as they reflect towards the inside of the prayer house.

The Mosque of Abu al-Hassan al-Tensi in Tlemcen is a model

*المؤلف المرسل: هنـــاء مغـــراوي
Hana.moghraoui@univ-alger2.dz

for the Muslim architect's employment in the Middle Maghreb of shamsyat and their functional and ideological impact on Islamic art in religious architecture.

Keywords: Shamsyat ; Mosque Abi Al-Hassan Al-Tensi ; the functional dimension.

ملخص:

تعد الشمسيات إحدى عناصر إدخال الضوء داخل عمارة المساجد وأحد عناصر التشكيل داخل الفراغات من حيث التهوية والإضاءة والتشميس وتلطيف الجو. فعنصر الضوء يعتبر من الثوابت المؤثرة في الفكر الفلسفي لدى المعماري المسلم، ودلالة توظيفه للشمسيات في المساجد لها دور وظيفي وجمالي من خلال تصميمه للتشكيلات الزخرفية والفتحات التي ينبعث منها ضوء الشمس نحو الفراغ الداخلي لبيت الصلاة، مما يحقق الدور الوظيفي المتمثل في التهوية والإضاءة، أما الجمال فيتجلى في ذل كالنور الساطع الداخل عبر الفتحات المتشكلة من تشكيلات زخرفية هندسية أضفت رونقا وحسا روحيا على نفسية المسلم بتناغم نور الشمس والأشكال الهندسية بانعكاسها نحو داخل بيت الصلاة، ومسجد أبي الحسن التنسي بتلمسان يعد نموذجاً لتوظيف المعماري المسلم بالمغرب الأوسط للشمسيات وأثرها الوظيفي والعقائدي للفن الإسلامي في العمارة الدينية.

الكلمات الدالة: الشمسيات، مسجد أبي الحسن التنسي،البعد الوظيفي.

1. مقدمة:

إهتم المعماري المسلم بتوظيف عنصر الشمسيات لتوفير التهوية والضوء في الفضاء الداخلي للعمارة الدينية فلعبت دورا وظيفيا وجماليا، فوظيفيا تمثل في تنظيم تدفق الهواء والشمس إلى الفراغ الداخلي، أما جماليا فتمثل في انعكاس الضوء على التشكيلات الزخرفية الهندسية أو النباتية المشكلة للشمسيات. لقد كان

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

للضوء والظل في العمارة الإسلامية علاقة وطيدة بالفكر الفلسفي، فارتبطت تلك الفتحات المسؤولة عن إدخال الضوء للفراغ الداخلي وانعكاساته بقيم روحية تبرز قدسية المكان.

وبذلك يعد الفن الإسلامي فنا تطبيقيا ركزت إبداعاته على العمارة الإسلامية في صناعة الضوء وتشكيله وتوزيعه في الفراغ الداخلي وفق مبدأ التناسق والتوازن، من خلال الأشكال الهندسية التي تخضع لأسس هندسية رياضية.

2. تعريف عنصر الشمسيات وتاريخ ظهورها في العمارة الإسلامية:

عرفت الشمسيات في المصطلح الأثري بأنها "نافذة من لوح حجري أو رخامي أو جصي مفرغ بزخارف نباتية أو هندسية أو كتابية" [1]، وعرفها حسين مؤنس "بأنها شباك أو فتحة مزخرفة في جدار المسجد يقفل بلوح من الرخام أو الخشب المخرم"[2]، وغالبا ما كانت تملأ تلك الفتحات المفرغة بزجاج ملون"[3].

فالشمسيات عبارة عن نوافذ أو فتحات علوية من الجص أو الحجر المفرغ مشكلة فتحات تسمح بمرور الهواء والضوء نحو الداخل.

وقد شاعت في العمارة الإسلامية في القصور والمساجد في عهد مبكر لم يقتصر توظيفها على القيمة الوظيفية التي تؤديها في منع دخول الأتربة والحشرات وتلطيف الجو والحد من كمية الضوء الداخل، بل اقتصر أيضا على القيمة الاجتماعية بتحقيق مبدأ "لا ضرر ولا ضرار" في العمارة المدنية، من خلال حجب المرأة عن المجتمع الخارجي بإحاطتها من الخصوصية والعزلة أثناء ممارسة نشاط حياتها اليومية، كما تعتبر من العناصر المميزة التي تجمع بين القيمة الوظيفية والجمالية.

يعود تاريخ ظهور الشمسيات إلى ما بين القرن الثاني والنصف الثاني للقرن الثالث للهجرة ببلاد الشام بقصر الحير الغربي والجامع الأموي بدمشق، ثم انتشر في العهد المملوكي بمصر ثم بالمغرب والأندلس. وقد كان توظيف الشمسيات في القصور

الأموية بدافع تحقيق حدة الضوء الذي ضم أقدم نموذج للنوافذ ذات الزخرفة الهندسية في الإسلام[4] (أنظر الشكل رقم:01)، وعرف أيضا جامع أحمد ابن طولون أقدم نموذج يحتوي على الشمسيات الجصية المفرغة غير المزججة (أنظر الصورة رقم: 01). أما في المغرب فقد شاع في الأوسط نموذج الشمسيات من الجص المفرغ وزخارف هندسية.

وعرفت فيما بعد تطورا من خلال استبدال تلك الألواح المفرغة بوضع قطع من الزجاج الملون سدت بها الأجزاء المفرغة[5]، حيث نجد ذلك في نوافذ الكنائس والكاتدرائيات التي تأثرت وأخذت من العمارة الإسلامية، إلاّ أنهم وظفوا الزجاج الملون واختلفوا في المواضيع الزخرفية باستعمالهم العناصر الآدمية والحيوانية والمناظر الدينية.

الشكل رقم 01: شمسيات من الحجر للمسجد الأموي بدمشق.

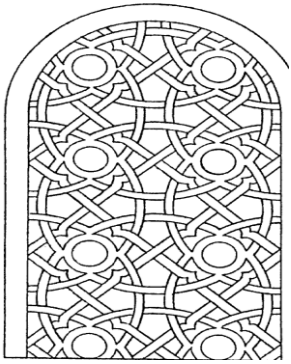

يحي وزيري، **موسوعة العناصر العمارة الإسلامية**، ج1، ص.61.

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

الصورة رقم01: شمسيات مسجد أحمد ابن طولون عن:
محمد عبد الحفيظ محمد مكاوي، جيهان حمزة زهران ورانيا عادل عبد التواب، **ستائر الضوء ومدى فاعليتها في الحيز الداخلي للعمارة الإسلامية**، مجلة العمارة والفنون، العدد السابع،ص.9

3. قراءة تاريخية لمسجد أبي الحسن التنسي:

يقع مسجد أبي الحسن التنسي بالجامع الكبير على مقربة من قصر المشور، شيده السلطان أبي سعيد عثمان (696هـ / 1296م) تخليدا لذكرى الأمير أبي عامر إبراهيم بن أبي يحي يغمراسن بن زيان حسب ما تشير إليه الكتابة التذكارية التي توجد على يمين المحراب وعلى يساره"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما بني هذا المسجد الأمير أبو عامر إبراهيم بن السلطان أبي يحي غمراسن بن زيان في سنة ست وتسعين وستمائة من بعد وفاته رحمه الله".

ويتميز المسجد بصغر مساحته إذ يبلغ طوله 10,20م وعرضه 9,70م وبساطة عمارته، إذ يحتوي بيت الصلاة على ثلاثة بلاطات عمودية على جدار القبلة ومئذنة[6] ، وخلوه من الصحن المكشوف ممّا يفسر أنّه كان مسجدا مخصصا للأمراء[7]، وقد استعمل إبان الاحتلال الفرنسي كمدرسة لحفظ القرآن ثم حول إلى مخزن. وفي سنة

2011 تلمسان - عاصمة الثقافة الإسلامية - رمّم وحول إلى متحف للفنون والخطوط الإسلامية يضم المخطوطات.

يحتوي مسجد أبي الحسن التنسي على ستة عشر شمسية موزعة أعلى الجدران، نفذت من الجص، وجاءت مفرغة ذات زخرفة هندسية موضوعة على مسافات متساوية وهي في الغالب توضع صفوفا أو على مسافات متساوية من الجدار حتى يكون لها أثر الجمالي المطلوب[8]، كما يحتوي على شمسيات صماء، وتعد الشمسيات الثلاث التي تعلوا المحراب من أجمل وأروع الأعمال الفنية للمعماري الزياني نفذت من مادة الجص وتحمل زخرفة ذات أشكال هندسية (أنظر الصورة رقم: 02).

الصورة رقم02: الشمسيات التي تعلو المحراب مسجد أبي الحسن التنسي.

3 . البعد الوظيفي والجمالي للشمسيات مسجد أبي الحسن التنسي:

الفن هو الذي يجمع بين الجمال وحقيقة الكون وهذا ما حققه المسلم في الفن الإسلامي في العمارة الإسلامية وعناصرها، خاصة في العمارة المسجدية باعتبار المسجد بيت الله سبحانه ومجمع المؤمنين ورمز الإيمان، حيث أولى لها اهتماما لتحقيق ذلك الحس الروحي بداخل بيت الصلاة وأركانه بتوظيف الشمسيات وعلاقتها بالضوء، إذ يعد من الثوابت المؤثرة على الفكر الفلسفي للمعماري المسلم ونلحظ هذا في عملية تدفق الضوء إلى داخل بيت الصلاة وانعكاس أشعة الشمس

على التشكيلات الهندسية مما يثير في عقل المصلي أو الناظر روح التأمل ويبعث في نفسه الأمل، وكأنما ذلك الشعاع يعطيه بصيص الأمل ويبعث في نفسه الهدوء والتوازن النفسي.

فالبعد الوظيفي للشمسيات يتمثل في عزل المبنى عن الخارج وترشيد كمية الضوء الداخل إلى المكان ومنع الأتربة والحشرات، كما أنها تخفف من الأحمال على العناصر الإنشائية الحاملة للسقف، أما جماليا فالعناصر الزخرفية المشكلة للشمسية تضفي لمسة فنية للفراغ الداخلي من خلال انعكاس الضوء. فالمعماري الزياني نجح في جلب الضوء واستخدامه في جعله روحيا وتأمليا للغاية، وهو ما نسميه فلسفة الضوء في العمارة وهي إلقاء النور على الحياة. لقد أولى المعماري الزياني الأهمية للشمس وكيفية توزيع، أشعتها واهتم بالزخرفة الخارجية التي تضفي على المكان هيبته، وهذا من خلال ببراعة تقسيماته للفتحات المشكلة من عناصر هندسية تشكل الجزء الأكبر في العمارة الإسلامية.

3- 1 . العناصر الهندسية المكونة للشمسيات:

استعان الفنان الزياني بعنصر الطبق النجمي* ذو الستة عشر رأسا وعشرة رؤوس كما هي موضحة في (الشكل رقم: 02)، والتي تعد من أساسيات الزخرفة الهندسية في الفن الإسلامي. فالزخارف الهندسية نالت أهمية كبيرة في الحضارة الإسلامية حيث وظفت المثلثات والمربعات والخطوط المنكسرة والأطباق النجمية متعددة الأضلاع.

إنَّ الأشكال النجمية تعطي إحساسا بالحركة والخط المنحني يتيح للعين الحركة والمتابعة السريعة، والدين الإسلامي يدعو إلى التأمل والتفكير والتدبر والإحساس بعظمة الله، ومن هذه الفكرة انطلق الفنان المسلم متأملا الطبيعة من حوله فأحس

بالجمال والعظمة وبقدرة الله التي لا يمكن أن تضاهيها قدرة فاستخدم الطبيعة والعقل معا، واستطاع أن يصيغ فنه من عناصر أربعة هي[9]:

1- العناصرالهندسية. 2- العناصرالنباتية.

3- العناصرالكتابية . 4- العناصرالحيوانية.

الشكل رقم02: عنصر الطبق النجمي لشمسيات مسجد أبي الحسن التنسي.

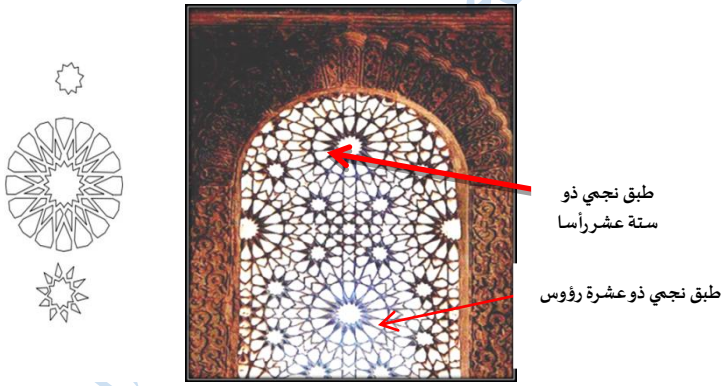

(من عمل الطالبة)

لقد ارتبطت فلسفة الفن الإسلامي في العمارة المسجدية بعقيدة الفنان المسلم فاستقى كل أعماله من روح العقيدة، إذ اهتم العرب بالعلوم الهندسية لما كان لأشكالها وتراكيبها من تداخلات رمزية وكونية وفلسفية[10]، واستخدم الفنان عنصري التكرار والتناظر والتوازن كما هو موضح، فالتكرار المتوالي يحدث أثرا زخرفيا جماليا، والتوازن كذلك له نفس الأثر مما يبعث في نفسية المرء التوازن النفسي من خلال التكرار والتناظر وانسجام الأشكال الهندسية، التي تقوم على علم الهندسة العلمية مما "دفع ذلك التقارب الروحي بين علم الهندسة وعلم الكونيات والعلوم

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

الفلسفية، وإلى قراءة غيبية ودينية في المضمون الهندسي للأشكال الهندسية"[11]حتى أنَّ الغربيين أعجبوا ببراعة المسلمين وقلدوها، ويروى عن ليوناردو دافينشي أنه كان يقضي ساعات طويلة يرسم الزخارف الهندسية الإسلامية[12].

4.خاتمة:

جمعت شمسيات مسجد أبي الحسن التنسي بين القيمة الوظيفية والجمالية داخل بيت الصلاة بتوفير الإضاءة والتهوية، باعتبار الضوء من بين العناصر المؤثرة في الفكر الفلسفي عن العمارة الإسلامية، وإضفاء جانب جمالي زخرفي المنعكس من خلال الزخارف مشكلة من الأطباق النجمية، التي اتسمت بخصائص الفن الإسلامي، بالتكرار والتناظر والتوازن، حيث يضفي ذلك الانعكاس للشمس على الأشكال حسا روحيا لمن يراه من خلال النور المنبثق من الفتحات المفرغة فيعطي رهبانية وقدسية للمكان .

5.قائمة المراجع:

- ايقا ويلسون، **الزخارف والرسوم الإسلامية**، تر. آمال مريود، دار قابس، بيروت.
- زكي محمد حسن،**فنون الإسلام**،ط.1،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة.
- زكي حسن محمد، 2012، **في الفنون الإسلامية**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر.
- رزق عاصم، 2000، **معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**،ط1،مكتبة مدبولي.
- فيلالي عبد العزيز، 2002، **تلمسان في العهد الزياني**، ج.1، موفم للنشر،الجزائر.
- مؤنس حسين، 1978،**المساجد**، سلسلة كتب عالم المعرفة،الكويت.
- وزيري يحي، 1999،**موسوعة العناصر العمارة الإسلامية**، ج1،مكتبة مدبولي، ط.1، القاهرة.

رسائل:

- سعيد عثمان محمد العياف، 2002، **الأسس التصميمية لإعداد وحدات زخرفية مستوحاة من التراث في مجال الزجاج المعشق**، بحث تكميلي للحصول على درجة ماجستير في التربية الفنية،جامعة أم القرى، السعودية.

- داليا أحمد فؤاد الشرقاوي، 2000، **الزخارف الإسلامية والإستفادة منها في تصميمات زخرفية معاصرة**، رسالة مقدمة للحصول على درجة ماجستير في الفنون التطبيقية، جامعة حلوان قسم الزخرفة.

-ريمة شلحاوي، سنةالجامعية2011 -2012، الزخارف الجدارية في الآثار الزيانية والمرينية بالمغرب الأوسط، دراسة أثرية- فنية، بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر،معهد الآثار.

مقالات:

-محمد عبد الحفيظ محمد مكاوي، جيهان حمزة زهران ورانيا عادل عبد التواب،"ستائر الضوء ومدى فاعليتها في الحيز الداخلي للعمارة الإسلامية"، **مجلة العمارة والفنون**، العدد السابع.

---

[1] - عاصم رزق، **معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، ط1، مكتبة مدبولي، 2000، ص 165.

[2] - حسين مؤنس، **المساجد**، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص. 130.

[3] - يحي وزيري، **موسوعة العناصر العمارة الإسلامية**،ج1، مكتبة مدبولي، ط.1،القاهرة، 1999، ص 75.

[4] - زكي محمد حسن، **فنون الإسلام**، ط.1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص.41.

[5] - سعيد عثمان محمد العياف، 2002، **الأسس التصميمية لإعداد وحدات زخرفية مستوحاة من التراث في مجال الزجاج المعشق**، بحث تكميلي للحصول على درجة ماجستير في التربية الفنية، جامعة أم القرى، السعودية، ص.37.

[6] - عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج.1، موفم للنشر، الجزائر، 2002، ص ص.146-147.

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

[7] - ريمة شلحاوي، **الزخارف الجدارية في الآثار الزيانية والمرينية بالمغرب الأوسط**، دراسة أثرية فنية، بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، السنة الجامعية2011 -2012، ص.43.

[8] - حسين مؤنس، **المرجع السابق**، ص.130.

[9] - داليا أحمد فؤاد الشرقاوي، **الزخارف الإسلامية والإستفادة منها في تصميمات زخرفية معاصرة**، رسالة مقدمة للحصول على درجة ماجستير في الفنون التطبيقية، جامعة حلوان قسم الزخرفة، 2000، ص.02.

***الطبق النجمي:**هو وحدة هندسية مكررة على أساس النجمة ذات العشر زوايا فوق هيكل مؤلف من خطوط متوازية في خمس إتجاهات.

[10]- إيقا ويلسون، **الزخارف والرسوم الإسلامية**، ترجمة: آمال مربود، دار قابس، بيروت، ص. 11.

[11] - إيقا ويلسون، المرجع السابق، ص.11.

[12] - حسن محمد زكي، **في الفنون الإسلامية**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص. 33.